الجهود النقدية
للسيدة سكينة بنت الحسين(ع) في مجلسها النقدي الخاص

د.فاضل محمد قادر[١]

١ جامعة كرميان - كلية التربية الأساسية - قسم اللغة العربية
fazil.mohammed@garmian.edu.krd

ملخص البحث

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على جهود المرأة الناقدة وهي السيدة سكينة بنت الحسين (رضي الله عنها) إذ كانت تتمتع بثقافة واسعة وحسن نقدي تحليلي نستطيع من خلاله التقاط هنات الشعراء في قصائدهم وكانت تقوّم النصوص الشعرية عن طريق التشجيع أو بيان الأخطاء علناً فرداً أو جماعةً وكانت ارائها النقدية موضع تقدير عند كبار شعراء عصرها أمثال (جرير،الفرزدق، جميل،نصيب،كثير)، وغيرهم، وقد أفرزت استجاباتها جملة من القواعد النقدية التي على الشاعر مراعتها والأخذ بها.

الكلمات المفتاحية(جهود، نقد،سكينة،مجلس،خاص)

Abstract

The most important point in the research is shed lighting on the efforts of the late critic lady (Sukaina Hussein) who was interested in of great education and critical analysis that help us to feel the poets' intentions and she was evaluating the poems by encouraging them and declaring the mistakes either individually or in public. She used the hold meeting with a large number of the poets like (Jarir, Alfarazdaq, Jameel, Nasib, and others). She in her theses has shown many of the critical rules which the poets must follow and take into consideration.

المقدمة:

لم يجتمع في تاريخ النقد الأدبي العربي حتى في أبهى عصوره هذا التجمع النسائي، إذ توجه عدد من النسوة من صفوة نساء قريش وبعض نساء العرب الأخريات إلى نقد شعر الغزل الذي شاع في الحجاز وفي القرن الأول للهجرة ولاسيما العصرالأموي، وهناك جملة من الأسباب التي سادت إلى هذا التوجه ,منها الحرية التي نالتها المرأة في الإسلام واتساع ثقافتها ونمو شخصيتها واستقلالها.من هنا وجدنا إن معظم نساء قريش ولاسيما الناقدات والشاعرات والمغنيات منهن قد وجدن من خلال الإطلاع على أدب العصر،أنه من حقهنَّ الأطلاع عليه عن كثب، لهذا تعرضت المرأة للشعراء وشعرهم ومدى مقدار اصابتها في وصف حقيقة نفسية المرأة أو فشلهم في ذلك، وهي الأجدر والأقدر على معرفة ما يرضي طموح المرأة وغرورها حين يتعرض الشاعر لوصفها أو التغزل بها أو مخاطبتها وقد أفرزت البيئة الحجازية عدد من النساء الناقدات بالإضافة إلى النساء اللواتي تغزل بهن الشعراء وقد ترك لنا تاريخ الأدب عدداً من هذه الأسماء التي تناولت نقد شعر الغزل وقد نركز على السيدة (سكينة) باعتبارها محور البحث الذي نحن بصدده .

التمهيد:

أجمعت المصادر التي لدينا بإن السيدة سكينة "هي من أكثرهن ثقافة وأدقهن في تحديد محاسن و عيوب الشعراء وتعد بحق هي رأس الناقدات العربيات وذلك لما لها من قدرة فائقة على التقاط المحاسن والعيوب في قصائد الشعراء الذين حاورتهم في مجلسها النقدي الخاص والجدير بالذكر أن ما يطلق على (عقيلة بنت عقيل) وهي شخصية غير محددة ولعلَّ النقاد " (د.داود سلوم :دراسات وابحاث في الأدب العربي، ٢٠١١م،ص٢٩٨.) كنوا باسمها عن ذكر اسم سكينة إكراماً وتحرجاً من ذكرها فقد تربع النسوة القريشيات على عرش النقد الأدبي النسائي لما كنَّ يشعرنّ به من شرف يؤهلهن لمثل هذا الدور النقدي وكانت السيدة سكينة تمتلك النسب الذي يعلو هام الثريا فجدها محمد وجدتها فاطمة بنت محمد وجدها لأبيها الامام علي بن ابي طالب وأبوها الحسين بن علي ومن خلال هذه العزة والشرف توجهت إلى الشعراء في نقدها وحواراتها وطروحاتها حولهم وحول شعرهم ومحاولتها تقويم النص الشعري، فسكينة كانت تدرك أن بيئتها الثقافية التي استوحتها من القرآن والحديث قد أهلها إلى تنبوأ هذا المركز النقدي وشكلت لها مجلساً نقديا خاصا بها.

حوارتها وطروحاتها مع الشعراء حول شعرهم وفي مجلسها النقدي

وفي مجلسها التي حضرها (كُثير) أشارت إلى هنآت فنية في قصور (كُثير) عند تصويره نفسية المرأة وفي أحدى مجالس سكينة للشعراء خرجت جارية فقالت: أيكم كثير؟ أأنت القائل:"

وأعجبني يا عزَّ منك خلائق كرامٌ إذا عُدّ الخلائق أربعُ
دنوك حتى يذكر الجاهل الصبا ودفعُكِ أسباب المُنى حين يطمعُ
وأنك لا تدرين ديناً مطلقه أمشتد من جراك أم يتصدعُ
ومنهن إكرام الكريم وهفوة الـ لئيم وخلات المكارم تنفعُ
أدمت لنا بالبخل منك ضريبة فليتك ذو لونين يعطي ويمنعُ

قال:نعم، قالت: ماجعلتها بخيلة تعرف البخل ولا سخية تعرف بالسخاء.

وفي الأغاني أنها قالت له أعطاك الله مناك" (المرزباني :الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء،١٩٩٥م ، ص٢٠٢، و الأصبهاني:الأغاني ، ١٩٦/١و ديوان كثير، درويش، ١٩٩٧م.ص٤٠٦)

تعليق سكينة يعيب كُثيراً في أنه لم يغلب على طبيعة على أخرى والإنسان في الأعم له مزاج واحد غالب على سلوكه ولعلّ التناقض في السلوك ينم عن اللؤم والكذب.

وفي مجلس آخر من مجالس (سكينة) مع الشعراء ان سكينة قالت لكُثير حين أنشدها قصيدته التي أولها:"

أشاقك برقٌ آخر الليّلِ واصِبُ تضمنّه فرشُ الجبا فالمسارِبُ
تألّق واحمَومى وخيّم بالرُّبى أحمُّ الذرى ذو هيدبٍ متراكبُ
إذا حرّكتهُ الريحُ أرزَم جانبٌ بلا هزقٍ منه وأومضَ جانبُ
لتروى به سعدى ويروى صديقها ويغدق أعداء له مشاربُ

قالت: أتهب غيثاً جعلك الله والناس فيه أسوة؟ فقال: يا بنت رسول الله وصفت غيثاً فأحسنته وأمطرته وأنبته واكملته ثم وهبته لها فقالت: فهلا وهبت لها دنانير ودراهم" (المرزباني :الموشح في مآخذ العلماء على

الشــعراء،١٩٩٥م ،ص١٨٨، و، ديوان كثير، درويش، ١٩٩٧م. **ج١ص٥٦**). ولعل ســكينة أعرف بنفســية المرأة وما تحب أن تعطي فالمال مازال مغرياً للمرأة أكثر من الكلام المعسول والقول الذي لا يخلف شيئاً.

وفي مجلس آخر من مجالسها قالت:" أأنت القائل:

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مُخـــــامرٍ لعزّةَ مــن أعراضِنا ما استحلّتِ

فما أنا بالدّاعي لعزّة بالـــــردى ولا شامتٍ أن نعلُ عـــــــزّة زلّتِ

وكنتُ كذي رجلين: رجلٍ صحيحةٍ ورجلٍ رمى فيها الزمانُ فشـــلّتِ

قال:نعم أحسـن الله إليك"((الأصـبهاني:الأغاني،١٩٩٧م ، ص١٩٦). وسـكينة تمدح فيه وفاءه لعزه واجلاله لها وكأنها تقول قد أصبت في قولك هذا.

وفي مجلس آخر، لها قيل لســكينة هذا (كُثير عزة) و (الأحوص) بالباب فقالت":ائذنوا لهما ثم أقبلت على (كُثير) فقالت: اما أنت يا كُثير فألأم العرب عهداً في قولك:

أريـــــد لأني ذكرها فكأنـــما تمثل لي ليـــــلي بكـــــل سبل

ولم تريد أن تنسى ذكرها؟ أما تطلبها إلا إذا مثلت لك، أما والله لولا بيتان قلتهما ما التفتُ إليك وهما قولك :

فيا حبّها زدني جوى كل ليلةٍ ويا سلوةَ الأيام موعدُك الحشـــــرُ

عجبت لسَعي الدهرِ بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهــر"

(الأصــبهاني:الأغاني ،١٩٩٧م، ص١٩٦و ديوان كثير، درويش، ١٩٩٧م. **ج٩٩ص١٠٩و١٠٢**) وانها لا ترى في قوله : أريد لأنشــى ذكرها عشقها ولا حباً وكأن كُثيراً يريد أن يقول: بعيدة عن العين بعيد عن القلب وهذارأي سكينة وهي مصيبة ـ ليس من الحب ولا فاعله أهل العشـق والجهد الثابت في القلب. وهنا نجد سـكينة معجبة ببيت كُثير عزة لأنه صـادق من الناحية الفنية.

وفي مجلس آخر لها مع جميل بثينة والأحوص وكُثير أمرت فأخرج (العذري والأحوص) وأمرت جواريها أن يكتنفه (أي كُثيراً) وقالت "له يا فاسق أنت القائل:

أإن زُمَّ اجمال وفارق جيرة وصــاح غراب البين أنت حزيــن؟

أين الحزن إلاّ عند هذا؟خرقن ثوبه ياجواري ،فقال:

جعلني الله فداك إني قد أعقبت بما هو أحسن من هذا أنشدها:

أأزمعت بيتاً عاجلاً وتركتني كئيباً سقيــماً جالــساً أتلــدد

وبين التراقي واللهاةِ حرارةٌ مكان الشّجا ما إن تبوحُ فتبرد

فقالت: خليني عنه ياجواري، وأمرت له بمائة دينار وحلة يمانية فقبضـها وانصـرف" (المرزباني :الموشـح في مآخذ العلماء على الشــعراء،١٩٩٥م ،ص١٩٥، و، ديوان كثير، درويش، ١٩٩٧م. **ج٣ص٩٩**). والفارق في العاطفة بين قوله الأول وقوله الأخير ،ففي بيته (إن زُمّ اجمال) عدم مبالاة بمن يرحل أو بمن يقيم وان رحيل المحب لا يســتوجب الحزن، فكان لوم (ســكينة) له على قوله ذلك وغضــبها المداعب له مايبرره وقد محا عن نفســه اللوم والذم في بيتيه الآخرين اللذين يفيضان بالعاطفة واللوعة والشوق.

وورد الخبر الذي روي عن (سكينة) ولومها الشاعر على عدم الحزن عند فراق الأحبة ونعيب الغراب مروياً أمرأة مجهولة فقالت له: إذا لم يكن الحزن عند فراق الجيرة وحنين الإبل فأين يكون؟ (المرزباني :الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء،١٩٩٥م ،ص١٩٠) وهذا التعليق على أبيات كُثير وهي:

وما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من فيها إذا جئت طارقاً وقد أوقدت بالمجمر الرطب نارها

ويمكن ان نلخص أن حكم الناقدة (سكينة) على كُثير أنه لم يكن ناجحاً في غزل، يعني أخلّ بما كان يجب أن يعرضه من خضوع للمرأة ورقة في مخاطبتها.

ومما تبقى من أخبار (جميل بثينة) في زيارته لمجلس السيدة (سكينة) يبدو انها كانت تفضله على الشعراء العذريين، لأنه غلبت على شعره الرقة واظهار الخضوع لمن يحب وذكر الأماني العذبة والشوق والحنين أبداً حين يأتي على ذكر (بُثينة) وحبها، "دخلت جارية (سكينة) على مولاتها ثم خرجت فقالت: أيكم (جميل)؟ قال: أنا، قالت ، أأنت القائل:

لقد ذَرفت عيني وطال سُفوحُها وأصبح من نفسي سقيماً صحيحُها

ألا ليتنا كنا جميعاً وإن نمت يجاور في الموتى ضريحي ضريحُها

أظل نهاري مستهاماً ويلتقي مع الليل روحي في المنام روحُها

فهل لي في كِتمانِ حُبّي راحةٌ وهل تنفعنّي بَوحة لو أبوحُها

قال :نعم ،قالت: بارك الله عليك وأنت القائل :

خليليَّ فيما عشتما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتله قبلي؟

أبيت مع الهُلاّك ضيفاً لأهلها، وأهلي قريبٌ موسِعُونَ ذوو فضل

فياربّ إن تهلك بثينة لا أعش فواقاً ولا أفرح بحالي ولا أهلي

ويارَبَّ إن وقيت شيئاً فوقها صوف المنايا ، ربّ واجمع بها شملي

وهذا الكلام يتلائم مع المشاعر ونفسيته وهو حكم صدر عن الناقدة لأنها أعجبت بشعره لصدقه وتفضيله على الاخرين.

"قال:نعم، قالت: أحسنت، أحسن الله إليك.

وأنت القائل:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة بوادي القرى أني إذا لسعيدُ

لكل حديث بينهن بشاشةٌ وكل قتيلٍ عندهنّ شهيدُ

إذا قلتُ: ما بي يا بثينةُ قاتلي من الحبِّ قالت: ثابتٌ ويزيدُ

وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به تناءت وقالت ذاك منك بعيدُ

....

يموتُ الهوى مني إذا ما لقيتُها ويحيا إذا فارقتها ويعودُ

قال : نعم ، قالت:جعلت لحديثها ملاحة وبشاشة وقتيلها شهيداً، وانت القائل:

ألا ليتني أعمى أصم تقودني بثينة لا يخفى علي مكانها

قال: نعم، قالت: لقد رضـيت من الدنيا ان تقودك بثينة وأنت أعمى أصـم . قال:نعم، دخلت الجارية على مولاتها وخرجت ومعها مدهن فيه غالية وقنديل وفيه كسـوة فيها خمسـمائة دينار ،فصـبت الغالية على رأس جميل حتى سـالت على لحيته ،ودفعت اليه الصـرة والكسـوة وقالت: أبسـط لنا العذر أنت أشـعرهم، وأمرت لأصـحابه من الشـعراء الـذين حضـروا المجلس بمـائـة دينـار." (الأصـبهـاني:الأغـاني،ج١ ، ١٩٩٧م،ص١٩٦و ديوان جميـل بثينـة، ت.بطرس البستاني، ١٩٨٢م، ج١،ص٣٨و٦٩).

وفي تعليقها على المقطعات ورضـاها عنها وفي قولها (أنت أشـعرهم) اقرار بأن (سـكينة) كانت تفضـل جميلاً ويذكر صاحب الموشح تعليق سكينة على البيت الأخير كالأتي:

"أفرضيت من نعم الدينا وزهرتها أن تكون أعمى أصم إلاَّ أنه لا يخفى عليك كلام بثينة،قال نعم" (المرزباني:الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء،١٩٩٥م ،ص٢٠٣) ولعل الشـاعر لم يدرك التناقض الذي ارادت (سـكينة) أن تنبهه إليه فكيف للأصم وهو لا يسمع أن يكون ممن يخفى عليه كلام من يحب دون الناس؟

ومن المآخذ التي أخذتها على جميل السيدة (سكينة) قوله:"

فلو تركت عقلي معي ما بكيتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي

ثم قالت:أنت تطلبها عند ذهاب عقلك لا بحبك لها ، لو لا أبيات بلغتني عنك ما أذنت لك وهي:

عَلقتُ الهوى منها وليداً فلم يزل إلى اليوم ينمي حبّها ويزيـــد

فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ولا حُبّهـــا فيما يـــبيـــدُ يـبيـد

يموتُ الهوى مني إذا ما لقيتُها ويحيا إذا فارقتها فيعـــــــود"

(المرزباني :الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء،١٩٩٥م ،ص١٩٢، و ديوان جميل، بطرس البستاني، ١٩٨٢م،ص١٨،١٧).

هذا موقف (سكينة) النقدي من نصوص (جميل) وما أخذته عليه لم يمنعها الاعجاب بأشعاره الأخرى، فهي إلى جانب (جميل) أيضـا كانت من السـيدة سـكينة بنت الحسـين عليها السـلام، الشـخصـية النسـوية الأولى في المجتمع الحجازي واسـتطاعت أن تجعل مكانتها مرموقاً لم ترق إلى مثلها سـواها بفضـل السـجايا التي انفردت بها عن باقي نسـاء عصـرها من القرشيات والهاشميات فبدت من خلال مواقف عديدة، معتمده بنفسها وبحسبها الرفيع الذي اذعن له خصومها قبل أنصارها (عائشة بنت الرحمن:سكينة بنت الحسين، د.ت،ص١٥٥)

وإن مصـادر الأخبار والروايات تبرزها سـيدة مجتمع متحررة من النفاق الاجتماعي،وقد ولجت السـيدة سـكينةعالم الأدب والشعر وحملت لواء النقد عن قدرة وجدارة لما كان لها من مواقف نقدية في مجال الأدب والشعر.

لذا يقول عنها د.عبدالعزيز عتيق:" والسـيدة سـكينة عرفت بذوقها الأدبي ونقد الشـعر والغناء وكان الشـعراء والأدباء والمغنون ورواة الشـعر يأتون إلى مجلسـها ويتحاكون إليها فتتقدمهم وتجيز الشـعراء على ما تراه حسـناً من قولهم." (د.عبدالعزيز عتيق:تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،١٩٨٦،ص١٤٢)

ويؤكد ذلك كلام عبدالله العفيفي ،وكان يفدون على دارها "من كل صـوب حدب وكل منهم قد عقد يده على خبر ما قال". (عبدالله عفيفي:المرأة العربية في جهالتها واسلامها ،ج٢ ، ١٩٨٢،ص١٧٥).

إن جرير والفرزدق وكثيراً وجميلاً ونصيباً اجتمعوا يوماً في ضيافتها فأذنت لهم وقد أتخذت "وصيفة تروح وتجي لتنقل إليهم ما أختارت من شعرهم وما أنتهت إليه من حكم" (المرزباني :الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء،١٩٩٥م، ص٢٠١) وبعد فراغها من تقيمهم واحداً تلو الآخر أبدت اعجابها بقول كُثير" (ديوان كثير،درويش، جمع وشـرح الدكتور احسان عباس ، ١٩٩٧م.) :

وأعجبني يا عزّة منك خلائـق كـرام اذا عدّ الخلائـــق أربـع

دُنوك حتى يذكر الجاهل الصبا ودفعُكِ أسباب المنى حين يطمع

فالناقدة أجازت الشاعر لأنه أحسن التعبير عن عزة المرأة وتمتعها، انها ناقدة جريئة تعي جيداً أسباب النظم وتتعدى سقطات الشعراء ، في حزم أمر لربما أعجبها قول الشاعر في موضع ما لكنه تعثر في الآخر فلا تتوارى عن محاسبته كما فعلت مع (كثير) حين قال:

فما روضةٌ بالحَزنِ طيّبةَ الثرى يمجُّ الندى جثجاثُها وعَـــرارُها

بأطيبَ من أردانِ عزّة مَوهناً وقد أوقِدت بالمندلِ الرطبِ نارُها

حيث أخذته على هذا الوصــف الذي لا يعطي المحبوبة تميزاً ذلك لأنه أبى من بخر بمندل رطب تطيّب وكان الأجدر به أن يقول كما قال أمرؤ القيس (ديوان أمرؤ القيس،تحقيق: غسان شديد ،د.ط،ص٦٤و٤٠٦و٤٢٩) :

ألم تريانِي أني كلما جئت طارقاً وجدت لها طيباً وإن لم تطيب

فهذا تعد كما يراه أهل الاختصـاص صـادر عن ذوق وصـف وحسـن دقيق بالجمال". (اسـماعيل صـيفي: بيئات نقد الشعر. ،ط٢، ١٩٩٠،ص١٣٧)ولكونها نادرة عصرها بصراً بالشعر احتكم إليها جهابذة القريض، من أمثال (أصحاب النقائض) فكانت تقدم جريراً على فرزدق دون موالاة أو مجادلة، إذ يذكر أنها ســألت يوماً الفرزدق عن أشــعر الناس فقال: أنا معارضته وردت الأمر إلى صاحبه لقوله(ديوان جرير،تحقيق: الدكتوركرم البستاني، ١٩٨٦م،ص١٥٤):

لــو لا الحياء لعادني استعبار ولــزرت قبرك والحبيب يــزار

فهذه الرواية تبين أن السيدة سكينة توجه الشعر نحو ذوق معين فهي تريد من الشعر، أن يكون أكثر دقة وأشدُّ تعلقاً بها، وما من شك، أن التوجيه سيصل إلى الشعراء لأن رأيها يهمهم.

وأنها سمعت قول(عروة بن أذينة)

قالت وأبثثتها ســـرّي فبحثُ به قد كنت عندي تحبّ السّتر فاستتر

ألستُ تبصرَ من حولي؟ فقلت لها غطّى هـــواكِ وما ألقى على بصري

(ديوان عروة بن أذينة ، ط١، ١٩٨١،ص٣٣)

أدركت الناقدة أنه لم يقل هذا الشـعر على مذهب الشـعراء كما زعم، وإنما نطق عن تجربة حقيقية ومعاناته وهي بهذا يكون اهتدت بذوقها المرهف إلى البيتين بعيدان عن نبض قلب جريح، أضــناه الحب وأرهقه وهذا حكم وتعبير دقيق أوحت به الناقدة تجاه الشاعر وشعره وهذا الحكم صادق نابع من ناقدة فطنة ذواقة.

وهذا كتاب الأغاني وفيه ما فيه من أخبار ومرويات كتلك التي ســمعناها بنقل رواية عن (محمد بن ســلام) تؤازرها رواية مثلها عن (عمر بن شـبه) إن" (جريراً والفرزدق وكُثيراً وجميلاً ونصـيباً) اجتمعوا في ضـيافة السـيدة (ســكينة)، فمكثوا أياماً ثم أذنت لهم فدخلوا عليها فقعدت حيث تراهم ولا يرونها، وتســمع كلامهم ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة قد روت الأشعار والأحاديث فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال لها: هأنذا،قالت: أنت القائل:

هُمـــــا دلتاني مـــــن ثمانين قامةً كما انقضّ باز أقتمُ الرّيشِ كاســرُه

فلما استوَت رِجلاي بالأرض قالت أُحيّ يــُرجى أم قتيـــــلٌ نُحاذرُه

قالت: فما دعاك إلى أفشـاء سـرها وسـرك،هلا سـترت عليك وعليها؟ خذ هذه الألف وألحق بأهلك، ثم دخلت على مولاتها وخرجت برسالتها فقالت:أيكم جرير؟ قال: هأنذا،قالت: أنت القائل:

طرقتكَ صائدةُ القلوبِ وليس ذا وقتَ الزيارةِ فارجعي بسلامِ

تُجرى السّواكَ على أغـرّ كـــأنّهُ بَرَدٌ تحدّرَ من مُتــُونِ غَمامِ

قال: نعم، قالت: أفلا أخذت بيدها وقلت لها ما يقال لمثلها؟ أنت عفيف وفيك ضـــعف ،خذ الألف وألحق باهلك.ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت: أيكم كُثير؟ قال:هأنذا ،قالت: أنت القائل:

وأعجبني يا عزّة منك خلائق كرام اذا عُـدّ الخلائـــــق أربع

دنوك حتى يذكر الطالب الصبا ودفعك أسباب الهوى حين يطمع

فوالله ما يدري كريم مماطلٌ أينساكِ إذا باعدتِ أو يتضـــرع

قال نعم ،قالت: ملمت وشكلت خذ هذه الثلاثة الاف والحق بأهلك.

ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت: أيكم نصيب؟ قال:هأنذا، قالت: أأنت القائل:

ولولا ان يقال:صبًا نصيب لقلت: بنفسي النشأ الصغار

بنفسي كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار

قال:نعم ، فقالت :ربيتنا صــغاراً ومدحتنا كبارا ،خذ هذه أربعة الألف والحق بأهلك، ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت: يا جميل مولاتي تقرئك السلام وتقول لك: والله مازلت مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة بوادي القرى إني أذا لسعيـــد

لكل حديـــث بينهن بشاشة وكـــل قتيل عندهن شهيـد

جعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهداء، خذ هذه أربعةألاف دينار والحق بأهلك" (الأصبهاني:الأغاني ، ١٤/١٦٦، و ديوان جميل بثينة ،تحقيق: بطرس البســتاني, ١٩٨٢م،ص١٨٩و٤٠٦و٤٥٢)وفي النص دلالات واضــحة منها:أن أمراء الشــعر في عصـرها كانوا يجتمعون في دارها فتأذن لهم وتجلس حيث تراهم ولا يرونها وقد أتخذت وصـفية لها تنقل إلى كل منهم مختارها من شـعره ورأيها فيه،نقلت ذلك مرة بعد مرة فكلما فرغت من شـاعر دخلت على مولاتها وعادت برسـالتها منها لشاعر آخر وقد أنكرت على (الفرزدق) افشاء سر وسر صاحبته والأخبار تزعم مع هذا أنها طربت لفناء (الغريض) بشعر (عمر) فيها وقد أفشـى به سـر ليلة الصـورين وأثنت على (جرير) لعفة شـعره وإن أنكرت ضـعفه وأسـلوبه في مخاطبة زائراته.

وأعجبتها أبيات (كثير) في وصف صاحبته ،كما لمحت فيها من دقة التعبير عن عزة الأنثى وطبيعة حواره.

" اجتمع بالمدينة راوية (جرير) وراوية (كُثير) وراوية جميل) وراوية (نصــيب) وراوية (الأحوص) فافتخر كل واحد منهم بصاحبه وقال: صاحبي أشعرفحكمّوا سكينة بنت الحسين لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر ، فخرجوا يتقادون حتى اســتأذنوا عليها فأذنت لهم،فذكروا لها الذي كان من أمرهم، فقالت لراوية (جرير) أليس صــاحبك الذي يقول:

طرقتكَ صائدةُ القلوب وليس ذا وقتَ الزيارةِ فارجعي بسلام

وأي سـاعة أحلى للزيارة من الطروق؟قبّح الله صـاحبك وقبّح شـعره ألا قال: فأدخلي بسـلام ،ثم قالت: لراوية (كثير) أليس صاحبك الذي يقول:

يقرّ بعيني ما يقرُّ بعينها وأحسن شيء ما به العين قرّت

أفيحب صاحبك أن ينكح ؟ قبّح الله صاحبك وقبّح شعره.

ثم قالت لراوية (جميل) أليس صاحبك الذي يقول :

ولو تركت عقلي معي ما طلبتُها ولكن طِلابيها لما فات من عقلي

فما أرى صاحبك من هوى وإنما يطلب عقله، قبّح الله صاحبك وقبّح شعره.

ثم قالت لراوية (نصيب) أليس صاحبك الذي يقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فيا حزناً من ذا يهيم بها بعدي

يتعشقها فما أرى له همة إلاّ من يعشقها بعده،قبح الله صاحبك وقبح شعره ألا قال:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمتِ فلا صلحت رعد لدى خلة بعدي

ثم قالت لراوية (أحوص) أليس صاحبك الذي يقول:

من عاشِقّينِ تواعــدا وتراسَلا ليلاَ إذا نجمُ الثريّا حـــــلّقا

باتا بأنـــعَمِ ليـــــلةٍ وألذّهـــا حتى إذا وضح الصباحُ تفّرقــا

قال نعم، قالت: أقبحه الله وقبح شـعره، ألا قال تعانقا؟ (الأصـبهاني:الأغاني ، ج٤، چاپ٢٢، وديوان جرير،تحقيق: الدكتوركرم البسـتاني، ، ١٩٨٦م،ص٤٥٢، و ديوان جميل بثينة ،تحقيق: بطرس البسـتاني, ١٩٨٢م،ص٣٦،و ديوان شـعر الأحوص الأنصـاري ، جمع وتحقيق: عادل سـليمان ، ط٢ القاهرة ١٩٩٠م ،ص٢٠٤) ودلالة النص أن (سـكينة) كان إليها الإحتكام"إذا اشـتجر للشـعر حافظة، تعرف مآخذ الشـعر أي أصـحابهم أشـعر، وانها كانت واعية للشـعر ولفتاتها النقدية دقيقة بارعة وهي جديرة بأن تعين على منهجنا لعصـر (سـكينة) الأدبي على ضـوء الاعتبارات الفنية التي كانت الناقدة الأولى للعصـر ، تصـدر عنها احكامها في ذوق الشـعر ووزن الشـعراء." (عائشـة عبدالرحمن (بنت الشـاطىء):سـكينة بنت الحسين،د.ت،ص١٧٩).

ولم يكن أعجابها بشاعر، يحميه من قسوتها في مؤاخذته ، فهذا (جرير) الذي أنكرت عليه ضعفه وسوء أدبه في مخاطبة النساء إذ قال:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

كانت ربما قدمته على (الفرزدق) وصـارحت الفرزدق برأيها فيهما دون مجاملة ، حدث الشـعبي:"إن الفرزدق خرج حاجاً، فما قضـى حجة عدل إلى المدينة فدخل إلى (سـكينة) بنت الحسـين عليهما السـلام ، فسـلم فقالت:" يا فرزدق من أشعر الناس؟، قال : أنا، قالت: كذبت، أشعر منك الذي يقول:

بنفسي من تجنبُه عزيــزٌ عليَّ ومن زيارتُهُ لِمـــامُ

ومن أُمسي وأصبِحُ لا أراهُ ويطرُقُني إذا هجَعَ النيامُ

فقال لها: والله لو أذنت لي لأسـمعك أحسـن منه، ثم أمرته فانصـرف ، فلما كان الغد اسـتأذن عليها فسـألته: يا فرزدق من أشعر الناس؟ قال: أنا ، قالت:كذبت صاحبك (جرير) أشعر منك حيث يقول:

لولا الحياء لهاجني استعبارُ ولزرتُ قبركِ والحبيبُ يزارُ

فقال:والله لو أذنت لي لأسمعك أحسن منه، فأمرت به فانصرف ،ثم عاد إليها في يوم الثالث فأعادت سؤاله ، يا فرزدق من أشعر الناس؟ ،قال: أنا ، قالت كذبت صاحبك أشعر حيث يقول:

إن العيـــون التي في طرفِها حورٌ قتلتنا ثـم لـم يُحييـن قتلانــا

يَصرَ عن ذا اللّبِ حتى لا حَراك به وهنَّ أضعف خلقِ الله أركـــانا

(الأصبهاني:الأغاني،١٩٩٧م ،ج٨، ص٣٨و ديوان جرير،تحقيق: الدكتوركرم البستاني، ١٩٨٦م،١٩٩٧م. چاپ٢٥و٤٢و٤٩٣)

فإذا كان هذا الموقف حدث قبل اجتماع الفرزدق مع جرير في ضـيافتها ، فذلك ما مكناه من أن اعجابها بالشـاعر وتفضـيلها إياه لم يكن يجعلها تغض البصـر عن سـقطاته، أما أن كانت مؤاخذتها جريراً. فقد سـبقت زيارة الفرزدق لهما وسماعه ما سمع من تفضيلها (جرير)عليه، فهذا ما يدل على أن السيدة الناقدة لم تكن تحكم على الشاعر بشعره جملة

أو تشبث برأي لها فيه لا تعول عنه، أخطأ جرير فقالت له "فيك ضعف ،ثم لم يمنعها ضعفه من الحكم له على الفرزدق ." (عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطىء):سكينة بنت الحسين،د.ت،ص١٨٠-١٨١).

وتشهد نادرة لها طريقة نقلها (ابن خلكان) على انها كانت مرهفة الحس العربي دقيقة الملمح لسر القول ودلالته مع صدق المعاناة، " يروى انها وقفت على عروة بن أذينة" (البكري،أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز:سمط اللالي في شرح أمالي القالي، ج١، التأليف، ،د.ت. ص١٣٦)

وكان من أعيان العلماء وكبار الصالحين وله أشعار رائعة، فقالت له أنت القائل:

إذا وجدتُ أُوارَ الحبّ في كبدي عمدتُ نحو سِقاءِ القوم أتبرد

هبيني بردتُ بِبردِ الماء ظاهِرهُ فمن لنار على الأحشـاء تتّقِدُ

قال:نعم ،قالت: وأنت القائل:

قـالت وأبثثتُها وجدي فبُحتُ به فقد كنت عندي تُخِتّ السّتر فاستَترِ

ألستُ تُبصِرُ من حولي ؟فقلتُ لهـا غطّى هواكِ وما ألقى على بصـري

قال: نعم ،فالتفت إلى جوار لها كنّ حولها وقالت هنّ حرائر،إن كان هذا الشـعر خرج من قلب سـليم قط. (البكري،أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز:سـمط اللالي في شـرح أمالي القالي، ج١، التأليف، ،د.ت. ص١٣٦و ديوان عروة بن أذينة، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، ،ط٢ ١٩٨١م.ص٣١٦و٣١٧).

وانما أنكرت أن يزعم (عرو) وهو من كبار الصالحين أنه قال هذا الشعر على مذهب الشعراء.وأنها لتحس فيه بذوقها المرهف نبض قلب جريح أضناه الحب وتدرك بوجدانها الذكي في وراء مثل هذا الشعر معاناة صادقة، وكانت "جديرة عندي بأن تدرك كذلك صدق المعاناة وحرارة التفجع في قول (عروة) يرثي أخاً له أسمه (بكر):

سرى همي، وهم المرء يرى وغاب النجـــم إلاّ فتير

أُراقبُ في المَجرّةِ كلّ نجمٍ تعرّضَ للمجرّة كيف يجري

لهمٌّ لا أزالُ لـــه مُديماً كـأن القلبَ أُسعرَ حـرّ جمرِ

على بكرٍ أخي ولّى حميداً وأيُّ العيشِ يصفو بعد بكـرِ

لكنها لما سمعت هذا الشعر قالت: (من يكون بكر هذا فوصف بنا؟ قالوا نعم... قالت :" لقد طاب بعده كل شيء حتى أتخذ والزيت ." (البكري،أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز:سـمط اللالي في شـرح أمالي القالي،د.ت، ج١،. ص١٣٦ و الحنبلي،ابن العماد: شـذرات الذهب في أخبار مَن ذَهبَ ،١٩٨٦م،١٥٤ و ديوان عروة بن أذينة، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، ،ط٢ ١٩٨١م.ص٣٢٥و٣٢٦وهذا الحكم يتلائم كليا مع معنويات الشـاعر ومعاناته لفقدان أخيه وأوعزها هنا التعاطف الوجداني يشـجيها بكلمة أخ في رثاء أخيه،مهما يكن هذا الأخ في نظر الناس قميئاً او مغموراً، وعلى كل حال فسكينة تتلقى الشعر بذوقها الخاص ويحكم عليه بمقدار ما يؤثر فيها ويقع في وجدانها.

أما تقويم النقاد لها فقد كانت ايجابية صـادقة بعد كشـف مواهبها حيث عقد لها الأدباء والشـعراء إمامة النقد في عصرها واشتدت في رقابتها الأدبية على الشعراء وأراؤها النقدية نابعة من توجهاتها ضرورة الالتزام بمقومات الشعر في رأيها من عمق المعاناة وعاطفية التناول وصدق الوجدان والسمو بالشعر إلى أفقه الجمالي بعيداً عن (الماء والنوم و أم عمرو) وإن السيدة سكينة لم تتعرض إلى شعر المدح قط وقد اسقطته من حسابها لأن فيه زيف كثير وغلبة النفاق عليه،أما رأيها في بعض الشعر الذين كتبوا أغراضا عديدة ومنها المدح فكان من بين الذين تعرضت لنقد شعرهم (جرير، الفرزدق،كثير،نصيب) ولهم في المدح قصائد مشهورات ولم نرها مع ذلك روت لأحدهم بيتاً من مدائحه أو ناقشته فيه، وإنما اقتصـر اهتمامها كله بما قالوا في (الحب) وكأنها كانت ترى فيه ما لا يرى في المدح من نبض القلب وحسـن

الوجدان وتعدّه المقياس الدقيق لامتحان أصالة الشاعرية وصدق المعاناة " (عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطىء): سكينة بنت الحسين، د.ت،ص١٨٤).

الخاتمة أو النتائج

لقد اتضح لنا من خلال تناولنا المحاورات والطروحات واللقاءات مع شعراء الحجاز وغيرهم بأن كانت للسيدة وجهات نظر نقدية، وكان لها رأيها الصائب في تقويم نصوص الشعراء وتقديم العطايا لهم ،والبعض منهم أنه قد فضلته على غيره من الشعراء كجرير على الفرزدق ،فهي أفرزت جملة من استجابات النقدية التي على الشاعر أن يأخذ بها ،والجدير بالذكر انها ابتعدت عن شعر المدح رغم ان الشعراء الذين أستمعت إليهم لديهم قصائد مدحية جميلة، ومن هنا فضلها النقاد في عصرها نظراً لموقفها و حسن توجهها.

ثبت المصادر والمراجع :

١/الأغاني ، أبو الفرج الأصبهاني ، ج١.طبعة دار المعارف المصرية.١٩٩٧م.
٢/ بيئات نقد الشعر. صيفي، اسماعيل ،دار المعرفة الجامعية،الأسكندرية،ط٢، ١٩٩٠.
٣/ تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ، د.عبدالعزيز عتيق ،ط١،دار النهضة العربية،بيروت،لبنان،١٩٨٦.
٤/ ديوان جرير،(تحقيق)، الدكتوركرم البستاني دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.
٥/ ديوان أمرؤ القيس ،(تحقيق) غسان شديد ،دار نوبليس،بيروت،د.ت.
٦/ ديوان كثير، (جمع وشرح) الدكتور احسان عباس ،نشر وتوزيع دار الثقافة ،بيروت لبنان، ١٩٩٧م.
٧/ديوان جميل بثينة ،(تحقيق): بطرس البستاني, دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٢م.
٨/ ديوان شعر الأحوص الأنصاري ، جمع وتحقيق: عادل سليمان ، مكتبة الخانجي , ط٢ القاهرة ١٩٩٠م .
٩/ديوان عروة بن أذينة، (تحقيق) الدكتور يحيى الجبوري ، دار القلم , الكويت ،ط٢ ١٩٨١م.
١٠/ ديوان الفرزدق،(شرح وتقديم) الأستاذ فاعور علي ، دار الكتب العلمية، ط١ ، بيروت،لبنان ، ١٩٨٧م .
١١/ سكينة بنت الحسين، عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطىء)،طبعة دار الهلال،القاهرة،د.ت.
١٢/ سمط اللالي في شرح أمالي القالي، ،أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري ،ج١، طبعة لجنة التأليف، القاهرة،د.ت.
١٣/ شذرات الذهب في أخبار مَن ذَهبَ، ،ابن العماد الحنبلي ،دار ابن كثير،ط١ ،دمشق،١٩٨٦م..
١٤/ المرأة العربية في جهالتها واسلامها ، عبدالله عفيفي ،ج٢،دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٢.
١٥/ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ،أبو عبدالله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، تحقيق:محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ١٩٩٥.
١٦/ نقد المرأة للشعر الغزلي ،كتاب دراسات وأبحاث في الأدب العربي ،د. داود سلوم ، مطبعة الوراق، الأردن. ،ط٨، ٢٠١١
١٧/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان , ابن خلكان ج١، طبعة بولاق.